أكاديمية الإمام الذهبي

للعلوم الشرعية

شرح

مائة المعاني والبيان

لزين الدين أبي الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بـ ابن الشحنة

(ت:٨١٥هـ)

المحاضرة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله البديع الهادي، إلى بيان مهيع الرشاد، أمدَّ أرباب النهى ورسما، شمس البيان في صدور العُلَما، فأبصروا معجزة القرآن، واضحة بساطع البرهان.

ثم صلاة الله ما ترنَّما، حادٍ يسوق العيس في أرض الحمى، على نبينا الحبيب الهادي، أجلِّ كلِّ ناطقٍ بالضاد، محمدٍ سيدِ خلقِ اللهِ، العربيّ الطاهرِ الأوّاهِ، ثم على صاحبه الصدّيقِ، حبيبِه وعمرَ الفاروقِ، ثم أبي عمرو إمام العابدينْ، وسطوةِ الله إمامِ الزاهدينْ، ثم على بقية الصحابةْ، ذوي التقى والفضل والإنابةْ، والمجدِ والفُرصةِ والبراعةْ، والحزمِ والنجدةِ والشجاعةْ، ما عكف القلب على القرآنِ، مرتقياً لحضرة العرفانِ.

أما بعد: فهذه هي المحاضرة السادسة من محاضرات شرح منظومة مائة البيان والمعاني، لابن الشحنة الحنفي رحمه الله، التابعة للفصل الدراسي الثاني، من السنة الدراسية الثالثة، في أكاديمية الإمام الذهبي رحمه الله.

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون والتسديد:

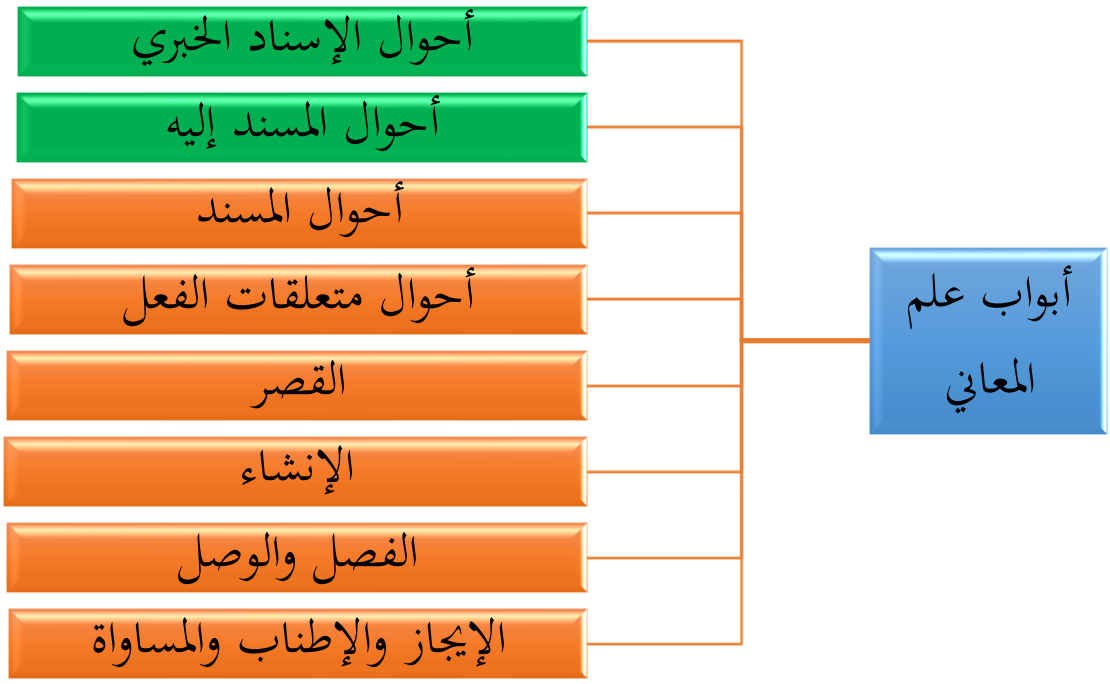

قال الناظم رحمه الله:

الْبَابُ الثَّانِي : أَحْوَالُ المُسْنَدِ إِلَيْهِ

الحَذْفُ لِلصَّوْنِ وَلِلإِنكَارِ ... وَالاحْتِرَازِ أو لِلاخْتِبَارِ

وَالذِّكْرُ لِلتَعْظِيمِ وَالإِهَانَةِ ... وَالْبَسْطِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْقَرِينَةِ

وَإِنْ **بِإِضْمَارٍ** تَكُنْ **مُعَرِّفَا** ... فَلِلْمَقَامَاتِ الْثَّلاَثِ فَاعْرِفَا

وَالأَصْلُ فِي الخِطَابِ لِلْمُعَيَّنِ ... وَالتَّرْكُ فِيهِ لِلْعُمُومِ الْبيِّنِ

وَعَلَمِيَّةٍ فَلِلإِحْضَارِ ... أَوْ قَصْدِ تَعْظِيمٍ أَو احْتِقَارِ

وَصِلَةٍ لِلجَهْلِ وَالتَّعْظِيمِ ... لِلشَّأْنِ وَالإِيمَاءِ وَالتَّفْخِيمِ

وَبِإِشَارَةٍ لِذِي فَهْمٍ بَطِي ... فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ أَوِ التَّوَسُّطِ

وَأَلْ لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ ... تُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ أَوْ مَا انْفَرَدْ

وَبِإِضَافَةٍ فَلِلاخْتِصَارِ ... نَعَمْ وَلِلذَّمِّ أَوِ احْتِقَارِ

وَإِنْ **مُنكَّراً** فَلِلتَّحقِيرِ ... وَالضِّدِّ وَالإِفْرَادِ وَالتَّكْثِيرِ

وَضِدِّهِ **وَالْوَصْفُ** لِلتَّبْيِينِ ... وَالمدْحِ وَالتَّخْصِيصِ وَالتَّعْيِينِ

وَكَوْنُهُ **مُؤَكَّداً** فَيَحْصُلُ ... لِدَفْعِ وَهْمِ كَوْنِهِ لاَ يَشْمُلُ

وَالسَّهْوِ وَالتَّجَوُّزِ المبَاحِ ... ثُمَّ **بَيَانُهُ** فَلِلإِيضَاحِ

بِاسْمٍ بِهِ يَخْتَصُّ **وَالإِبْدَالُ** ... يَزِيدُ تَقْرِيراً لِمَا يُقَالُ

والْعَطْفُ تَفْصِيلٌ مَعَ اقْتِرَابِ ... أَوْ رَدِّ سَامِعٍ إِلَى الصَّوَابِ

وَالْفَصْلُ لِلتَّخْصِيصِ **والتَقْدِيمُ** ... فَلاِهْتِمَامٍ يَحْصُلُ التَّقْسِيمُ

كَالأَصْلِ وَالتَّمْكِينِ وَالتَّعَجُّلِ ... وَقَدْ يُفِيدُ الاخْتِصَاصَ إِنْ وَلِي

نَفْياً وَقَدْ عَلَى خِلاَفِ الظَّاهِرِ ... يَأْتِي كَأُولَى وَالْتِفَاتٍ دَائِرِ

الشرح:

تقسم الجملة في اللغة العربية إلى قسمين لا ثالث لهما:

١- الجملة الإسمية: لها ركنان: المبتدأ (المسند إليه) – الخبر (المسند)، نحو: زيدٌ ناجحٌ.

٢- الجملة الفعلية: لها ركنان: الفعل (المسند) – الفاعل أو نائب الفاعل (المسند إليه)، نحو: قام زيد – ضُرِبَ بكرٌ.

فالكلام في هذا الباب عن المسند إليه –المبتدأ والفاعل أو نائب الفاعل– وهو من أطول أبواب علم البلاغة، وغالبا تذكر فيه مسائل، ثم لا تعاد في أبواب أخرى بل يشار إليها إشارة.

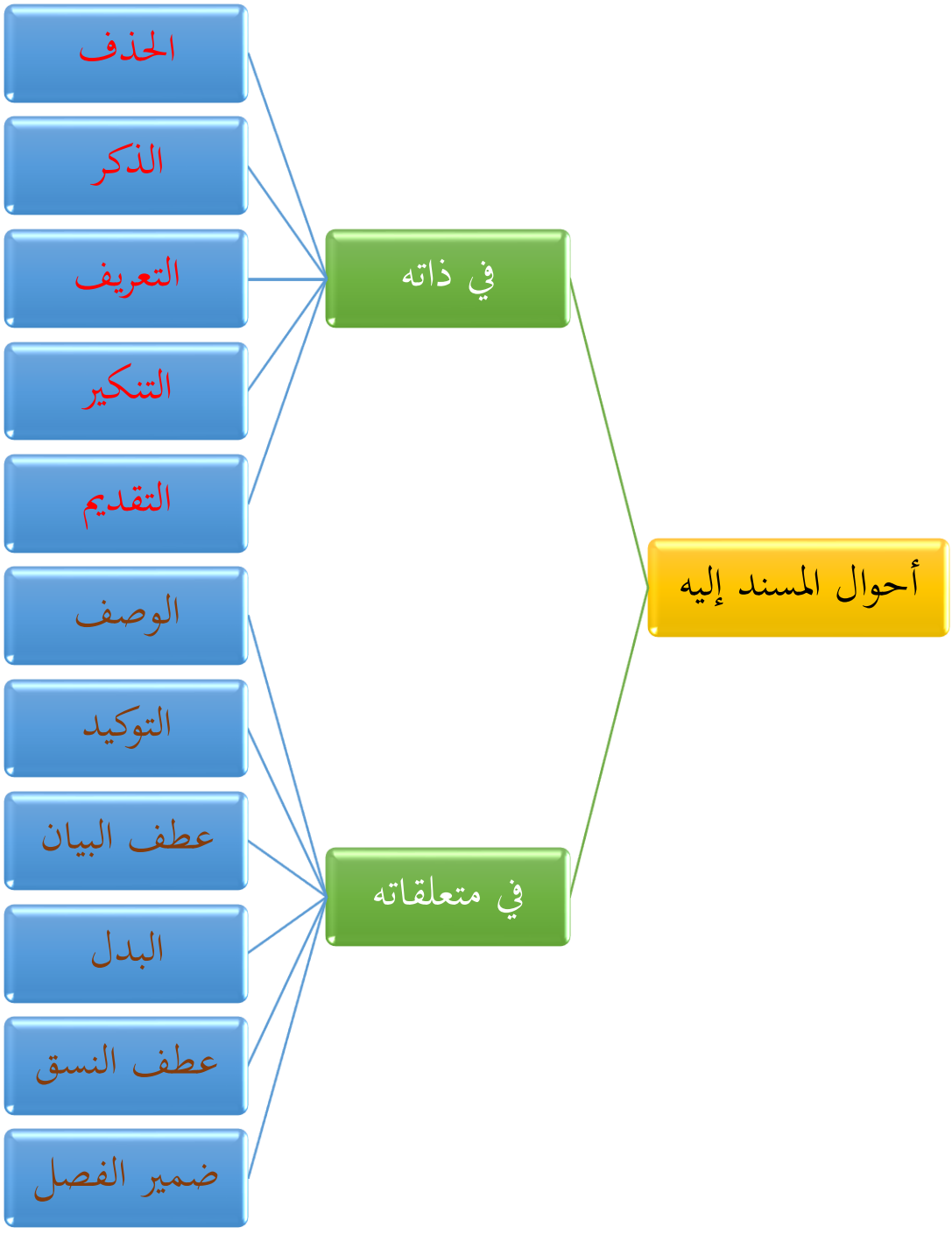

أحوال المسند إليه في ذاته

أولا: حذف المسند إليه.

قدم البلاغيون حذف المسند إليه على ذكره - مع أن ذكر المسند إليه هو الأصل – لأن الحذف عدم، والذكر إيجاد، ولا شك أن العدم مقدم وسابق على الإيجاد.

فإن قيل: المسند إليه عمدة في الكلام، فكيف يحذف؟

فالجواب: حذف المسند إليه يتوقف على أمرين:

الأول: قبوله للحذف: كأن يكون السامع عارفا به، نحو: كيف زيد؟ بخير – أين زيد؟ سافر، وهذا يدرس في علم النحو.

الثاني: وجود مرجح للحذف: وهي الأغراض البلاغة التي تقتضي حذف المسند إليه، وهذا يدرس في علم البلاغة، وهو ما تكلم عنه المصنف رحمه الله.

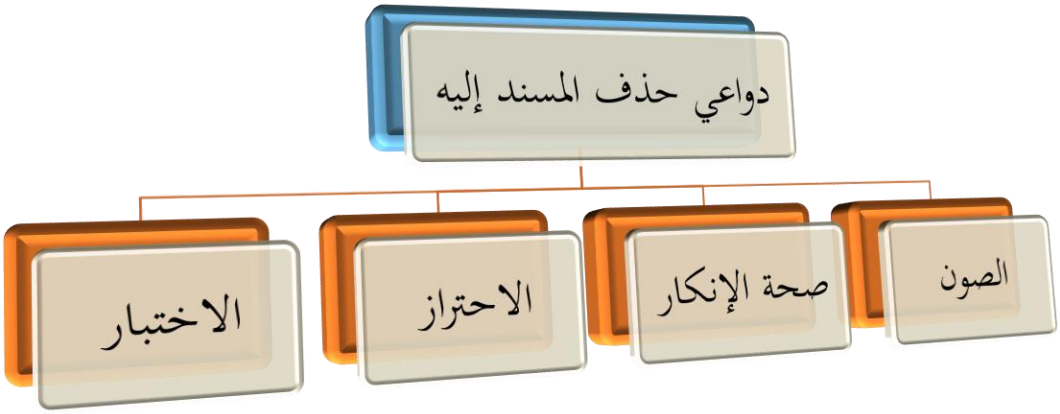

قال المصنف رحمه الله:

الحَـذْفُ لِلصَّـــوْنِ وَلِلإِنكَـارِ   وَالاحْـتِرَازِ أو لِـلاخْـتِـبَـارِ

أ- الصون: صون اللسان عن ذكر المسند إليه تحقيرا لشأنه، نحو قوله تعالى {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}، أي: المنافقون صم بكم عمي.

ب- صحة الإنكار: يحذف المتكلم المسند إليه؛ ليقدر على الإنكار عند الحاجة، نحو جماعة من الموظفين يتكلمون عن مديرهم في العمل، فيقول أحدهم: ظالم فاجر فاسق، فلو جاء المدير،

وقال: أنت قلت عني: ظالم فاجر فاسق، فهنا المتكلم يستطيع أن ينكر، فيقول: نعم لكن ما أردتك أنت، لكن لو كان ذكر المسند إليه، لأقام البينة والحجة على نفسه، ولما استطاع الإنكار.

ت- الاحتراز: الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، والعبث: كل كلام قامت عليه قرينة عند المخاطب، فذكره يعد عيبا وعبثا، كقوله تعالى { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦)} أي: هي نار الله الملتهبة، وقوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}، أي: فعمله لنفسه.

ث- الاختبار: اختبار مدى انتباه وذكاء السامع والمخاطب، نحو قولك: نوره مستفاد من ضوء الشمس، أي: القمر، أو كقولك: زينة الحياة الدنيا، أي: المال والبنون.

ثانيا: ذكر المسند إليه.

أكثر ما يعين طالب علم البلاغة مقابلة الأشياء ببعضها، فإذا وجدت المسند إليه مذكورا فاعرف غرضه، ثم احذفه، وانظر إلى المعنى الذي انقدح في نفسك، والعكس صحيح، فإذا وجدت المسند إليه محذوفا، فاعرف غرضه، ثم اذكره، وانظر إلى المعنى الذي انقدح في نفسك، بهذا تبدأ تتذوق حلاوة الكلام، وتقف على مواطن بلاغة الكلام وجماله ورونقه.

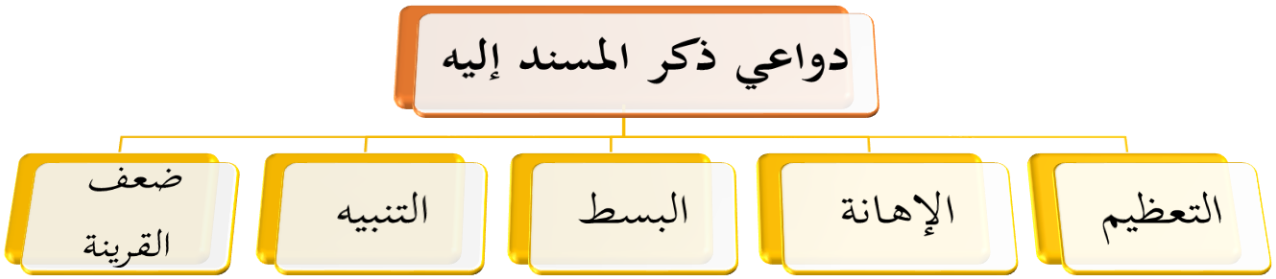

قال المصنف رحمه الله:

وَالذِّكْرُ لِلتَعْظِيمِ وَالإِهَانَةِ وَالْبَسْطِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْقَرِينَةِ

أ- التعظيم: وهذا يظهر في الأسماء والألقاب كثيرن كثيرن نحو قوله {**محمدٌ** رسول الله}، وكما في حديث أسئلة القبر حيث قال صلى الله عليه وسلم " وَيأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبّكَ؟ فَيقُول: **رَبّيَ** الله، فَيقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: **دِينِي** الإسْلاَمُ، فيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرّجُلُ الّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قالَ فَيَقُولُ: **هُوَ** رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم"

ب- الإهانة: وهذا يظهر في الأسماء والألقاب أيضا، أبو لهب في النار، وأبو جهل جاره فيها.

ت- البسط: وهو بسط الكلام لعظمة السامع أو لشرفه أو لمحبته من المتكلم، نحو قوله تعالى { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (١٧) قَالَ **هِيَ** عَصَايَ} وكان يكفي سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أن يقول: عصاي.

ث- التنبيه: التنبيه على غباوة السامع، فهو لا يفهم إلا بذكر المسند إليه، نحو قوله تعالى {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ **إِنَّهُ** يَقُولُ **إِنَّهَا** بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} قولك لعابد الصنم: الصنم لا يضر ولا ينفع.

ج- ضعف القرينة: وذلك عند خفاء القرينة، وعدم تفطن السامع للكلام، نحو قولك: يازيد هل نجح صاحبك؟ فيقول: نجح **زيد**.

ثالثا: تعريف المسند إليه:

المعرفة: اللَّفظُ الذي يدُلُّ على مُعيَّنٍ.

والأصل في المسند إليه – المبتدأ أو الفاعل أو نائب الفاعل – التعريف، وفي المسند التنكير.

قال المصنف رحمه الله:

وَإِنْ بِإِضْـــمَــارٍ تَـكُـنْ **مُـعَرِّفَـا** ... فَلِلْمَقَـامَـاتِ الثَّلَاثِ فَـاعْرِفَـا
وَالأَصْـــلُ فِي الْخِطَـابِ لِلْمُعَيَّنِ ... وَالتَّرْكُ فِـيـهِ لِلْعُمُومِ الْـبَـيِّنِ
وَعَـلَـمِـيَّـةٍ فَـلِـلإِحْـضَــــارِ ... أَوْ قَصْـــدِ تَعْظِيمٍ أَوِ احْتِقَـارِ
وَصِـــلَـةٍ لِلْجَـهْـلِ وَالتَّعْظِيمِ ... لِلشَّـــأْنِ وَالإِيمَـاءِ وَالتَّفْخِيمِ
وَبِإِشَـــارَةٍ لِـذِي فَـهـمٍ بَـطِـي ... فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ أَوِ التَّوَسُّـــطِ

وَأَلْ لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ تُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ أَوْ مَا انْفَرَدْ

وَبِإِضَافَةٍ فَلِلاخْتِصَارِ نَعَمْ وَلِلذَّمِّ أَوِ احْتِقَارِ

أ- بالضمير:

قال المصنف رحمه الله:

وَإِنْ بِإِضْمَارٍ تَكُنْ **مُعَرِّفَا** فَلِلْمَقَامَاتِ الثَّلاَثِ فَاعْرِفَا

وَالأَصْلُ فِي الْخِطَابِ لِلْمُعَيَّنِ وَالتَّرْكُ فِيهِ لِلْعُمُومِ الْبَيِّنِ

قسم العلماء مقامات الكلام إلى ثلاثة مقامات وهي:

- التكلم: أنا – نحن.
- المخاطب: أنت – أنت – أنتما – أنتم – أنتن.
- الغائب: هو – هي – هما – هم – هن.

والأصل في الضمير أن يكون للمعين؛ لأنه وضع أصلا للتعيين، نحو قوله {قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}

وقال تعالى {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}

وقال تعالى {قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}

وقد يترك هذا الأصل وهو التعيين لفائدة بلاغية وهي التعميم، نحو قوله تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} فأخرج الكلام من التعيين إلى التعميم لظهور حالهم يوم القيامة بأنهم من أصحاب النار بحيث لا تختص هذه الحال بشخص دون آخر فالكل يرى حالهم وما وصلوا إليه.

ب- بالعلمية:

قال المصنف رحمه الله:

وَعَلَمِيَّةٍ فَلِلإِحْضَارِ أَوْ قَصْدِ تَعْظِيمٍ أَو احْتِقَارِ

العلم: هو اسم يعين المسمى مطلقا، وهو ثلاثة أقسام:

الاسم: نحو: زيد – مكة – الحرم....الخ

الكنية: نحو: أبو بكر – أم سلمة – أبو جهل – أبو لهب.

اللقب: نحو: الصديق – الفاروق – سيف الله – الأعمش – الأعرج.....الخ

وقد بين المصنف رحمه الله أن من دواعي تعريف المسند إليه بالعلمية أمور منها:

١- الإحضار: إحضار المسند إليه في ذهن السامع؛ ليتميز عن غيره، نحو قوله {وَإِذْ يَرْفَعُ **إِبْرَاهِيمُ** الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ **وَإِسْمَاعِيلُ** رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

٢- التعظيم: تعظيم المسند إليه في ذهن السامع، نحو: صلاح الدين – سيف الله، ومنه قولهم: قضية ولا **أبو الحسن** لها، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا **أبا حفص**.

٣- الاحتقار: تحقير المسند إليه في ذهن السامع، نحو قوله تعالى {تبت يدا **أبي لهب** وتب} وقوله صلى الله عليه وسلم «**الْخَمْرُ** أُمُّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»

ت- باسم الموصول:

قال المصنف رحمه الله:

وَصِـــلَـةٍ لِلجَـهـلِ وَالتَّـعْـظِيـمِ   لِلشَّـــأنِ وَالإِيمَـاءِ وَالتَّـفْـخِيـمِ

الاسم الموصول: الذي – التي – اللذان – الذين – اللائي.

والفرق بين التعريف بالاسم الموصول وباقي المعرفات كالعلم والإشارة والضمير، أن التعريف بهذا المعرفات يكون بنفس الكلمة، بينما التعريف بالاسم الموصول يكون بصلة الموصول وهي جملة تامة، نحو قوله {وراودته التي **هو في بيتها**}

وقد بين المصنف أن دواعي التعريف بالاسم الموصول يكون بأمور منها:

١- الجهل: عدم علم المخاطب بشيء من صفات المسند إليه إلا الصفة المذكورة في جملة الصلة، فيكون اختيار الاسم الموصول في هذه الحالة أمرا لازما؛ لتحقيق البيان الذي يستدعيه الكلام، نحو قوله {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا **الَّذِي** اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}

٢- تعظيم الشأن: قد يُتَّخَذُ اسم الموصول مع صلته ذريعة لتعظيم الموصوف بالاسم الموصول مع صلته، أو يتخذ ذريعة لبيان المنزلة الرفيعة للموصوف بالاسم مع صلته، أو يتخذ ذريعة للتخويف من الموصوف بالاسم الموصول مع صلته، فالأول كقولك: **الذي** خَلَقَ السماوات والأرض وأتقن كلّ شيءٍ صُنْعاً، إلَهُنا.

والثاني كقولك: الذي بنَى قصر الملك هو الذي بنَى قَصْرِي، تشير إلى فخامة بناء قصرك، وأنّك ذو مكانة رفعية، ومنه قول الفرزدق من قصيدة يفتخر بها على جرير:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ***** بَيْتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ.

والثالث كقوله تعالى في حكاية ما قال شعيب عليه السلام لقومه:{وَاتَّقُواْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ}

٣- الإيماء: الإشارة إلى أنّ الوصف الذي دلّت عليه صلة الموصول هو علة بناء الحكم في الجملة.

كقوله تعالى {إِنَّ **الَّذِينَ** آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}

وكقوله {إِنَّ **الَّذِينَ** كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً}

٤- التفخيم: إرادة التفخيم والتعظيم أو التهويل، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)}، وقوله: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤)}.

ث- باسم الإشارة:

قال المصنف رحمه الله:

وَبِإِشَـــــارَةٍ لِـذِي فَـهـمٍ بَـطِـي فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْـدِ أَوِ التَّوَسُّـــطِ

اسم الإشارة: وضع للدلالة على الشيء المشاهد المحسوس.

وهو للمذكر المفرد "ذا" وللمثنى "ذانِ – ذين" وللجمع "أولاء" وللمؤنث المفردة "ذي تي ذه ته" وللمثنى "تانِ – تينِ" وللجمع "أولاء"، وتلحقه الهاء للتنبيه، فيقال: هذا – هذي.

ثم إن كان المشار بعيدا لحقه اللام والكاف فيقال: ذلكَ – ذالكِ، وإن كان المشار إليه متوسط البعد لحقته الكاف فقط، فيقال: ذاكَ – تيكِ، وإن كان المشار إليه قريبا لم يلحقه شيء فيقال: ذا – ذي.

وقد بين المصنف أن من دواعي تعريف المسند إليه باسم الإشارة أمور منها:

١- للتنبيه إلى بطئ فهم المخاطب: إرادة التعريض بغباوة المتلقّي، إذ يُشْعِر أحياناً استخدام اسْم الإشارة بأنّ المخاطَب يحتاج لتمييز المتحدّث عَنْهُ إلى إشارة حسّيَّةٍ، وأنَّه لاَ تكفيه الدلالات الفكريّة، ومنه قوله {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}.

٢- للإشارة إلى قرب المسند إليه تحقيرا أو تعظيما: فالأول كقول الذين كفروا بشأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)}.

والثاني كقوله {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}

٣- للإشارة إلى بُعْدِ المسند إليه تعظيما أو تحقيرا: فالأول كقوله تعالى { الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}

والثاني كقوله { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}

٤- للإشار إلى توسط بُعْدِ المسند إليه: كقولك لمن بقربك: هل تعرف ذاك الرجل.

ج- بـ أل التعريف:

قال المصنف رحمه الله:

وَأَلْ لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ تُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ أَوْ لِمَا انْفَرَدْ

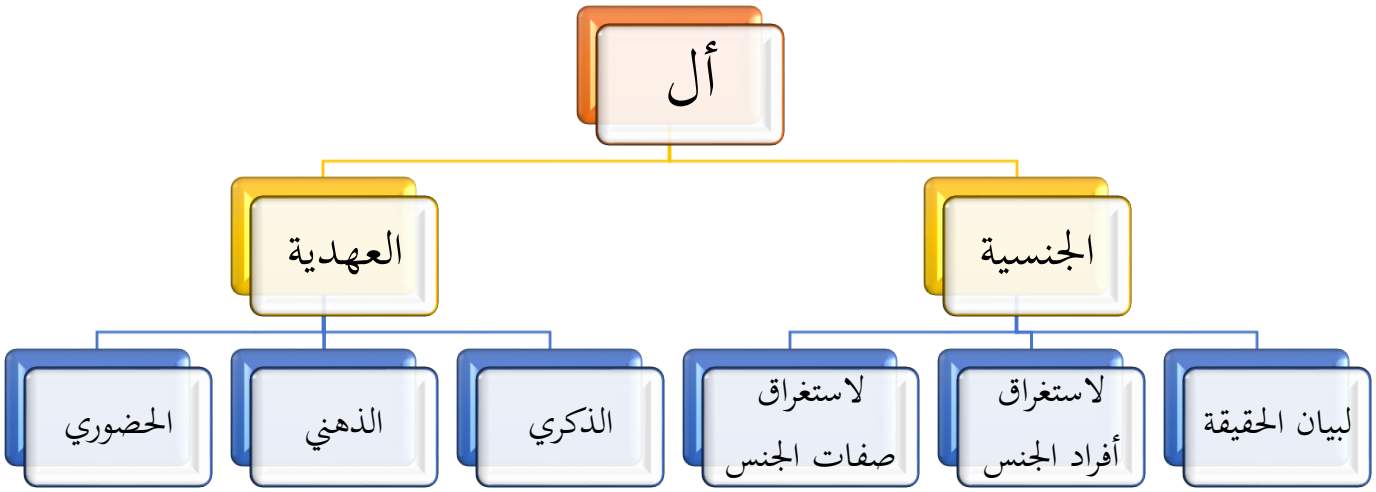

قسّم النحويّون اللاّم التي تدخل على الاسم فتفيده تعريفاً إلى قسمين: اللاّم الجنسية، واللاّم العهدية:

أمّا اللاّم الجنسيّة: (وقد تُسمَّى عند البلاغيين لام الحقيقة) فهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: اللاّم التي لبيان الحقيقة والماهية: وهي التي تدل على الحقيقة الشائعة في الأفراد، دون النظر إلى الدّلالة على عُمومٍ أو خصوص.

علامتها: هي التي لا يصحّ أنْ يستعمل بدلَها كلمة "كلّ"

كقول الله عزَّ وجلَّ {وَجَعَلْنَا مِنَ **الْمَآءِ** كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ}.

النوع الثاني: اللاّم لاستغراق أفراد الجنْسِ كلّهِم حقيقةً أَوْ عرفاً: وهي الّتي تدلُّ على استغراق أفراد الجنس في الحكم.

علامتها: يصح أن تستعمل كلمة "كل" بدلا عنها.

فمن أمثلة الاستغراق الحقيقي قول الله عزَّ وجلَّ {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ **الإِنسَانُ** ضَعِيفاً}

أي: وخلق كلّ فرد من أفراد جنس الإنسان ضعيفاً، والواقع يشهد لإرادة هذا الاستغراق.

ومن أمثلة الاستغراق العرفي قول الله عزَّ وجلَّ {وَجَآءَ **السَّحَرَةُ** فِرْعَوْنَ}، أي: سحرة مملكته، لا كلُّ سَحَرَة العالم.

النوع الثالث: اللاّم التي لاستغراق صفاتِ الجنْسِ مجازاً على سبيل المبالغة: كأن تقول لمن تريد الثناء عليه باستجماعه صفات الرجولة الكاملة: "أنت الرَّجُل" أي: أنت المستغرق في صفاتك صفات جنس الرجال.

وكأن تقول مثلاً عن المتنبي: "هو الشاعر" أي: هو الذي اجتمعت فيه كلُّ صفات الشاعر، فكأنه استغرق الجنْسَ كلّه، ومنه قول الشاعر: "أَنْتُمُ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعَرَاءُ".

وأمّا اللاّم العهدية: فهي ثلاثة أنواعٍ أيضاً:

النوع الأول: اللاّم الّتي للعهد الذكريّ: وهي الَّتِي يتقدَّم المعرَّفَ بها ذكْرٌ في الكلام.

علامتها: ضابطها أن يسُدّ الضمير مسَدَّه.

كقول الله عزّ وجلّ {إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ **الرَّسُولَ** فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٦)}، وَبيلاً: أي: شديداً.

فاللاّم التي في (الرسول) عهديّة، ونلاحظ أنّه يمكن أن يقع الضمير موقع لفظ الرسول فيقال: فعصاه فرعون، ويلاحظ أن اختيار المعرّف باللام العهديّة هنا إرادة ذكر لفظ الرّسول لبيان شناعة معصية فرعون لرسول ربّه.

النوع الثاني: اللاّم التي للعهد الذهني: ويُسمَّى أيضاً "العهد الْعِلْميّ" وهي التي سبق العِلْمُ بالمعرَّف بها.

كقول الله عز وجل {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي **الْغَارِ**...}

فلم يسبق ذكر للفظ "الغار" لكن سبق العلم به، فهو معهودٌ ذهناً.

النوع الثالث: اللاّم الّتي للعهد الحضوري: وهي التي يكون المعرَّفُ بها حاضراً عند التكلّم.

كقول الله عز وجل {**الْيَوْمَ** أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...}

فاللاّم التي في لفظ "اليوم" المعرّفة له تُشير إلى اليوم الحاضر الذي نزلت فيه الآية، وكان يوم عرفة في حجّة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ح- بالإضافة:

قال المصنف رحمه الله:

وَبإِضَـــــافَـةٍ فَـلِاخْـتِـصَـــــارِ   نَـعَـمْ وَلِـلـذَّمِّ أَوِ احْـتِـقَـارِ

الإضافة: هي علاقة بين المضاف والمضاف إليه على تقدير حرف جر.

وهي قسمان:

١- إضافة لفظية: هي الّتي لا تفيد المضافَ تعريفاً ولا تخصيصاً، وهذه الإضافة اللفظية، لا تَدخُلُ في دواعي اختيار المعرَّف بالإضافة عند البلاغيين، بل هي من مُلْحَقَاتِ متعلقاتِ الفعل.

٢- إضافة معنوية: وهي نسبة بين اسمين مقترنين على تقدير حرف جر، وهي التي تفيد المضاف تعريفا أو تخصيصا، وهي المقصودة بالكلام هنا.

وقد بين المصنف رحمه الله أن لتعريف المسند إليه بالإضافة المعنوية دواع بلاغية منها:

١- الإختصار: إحضار المسند إليه في ذهن المخاطب بأقصر طريق، نحو قوله تعالى { وجاء **إخوة يوسف**}

٢- الذم: ذم المسند إليه في ذهن المخاطب، نحو قوله صلى الله عليه وسلم " تعس **عبد الدرهم**، تعس **عبد الدينار**"، وعكسه المدح نحو قولك: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة.

٣- الاحتقار: تحقير المسند إليه في ذهن المخاطب، نحو قولك عندما ترى بيتا حقيرا: هذا قصرك، وقولك: ولد السارقَ جليسٌ لابنك، وعكسه التعظيم نحو قوله تعالى {سبحان الذي أسرى **بعبده** ليلا}

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم